مدينة حمص

(تابع ما قبله)

ارض الميعاد

كان موسى النبي قد وعد بني اسرائيل في التوراة انهم سيدخلون بلاداً في ارض كنعان تكون لهم ميراثاً وتدر عليهم لبناً وعسلاً. فدلَّهم على تخومها الجنوبية والغربية والشمالية وذكرت هذه التخوم في سفر النبي حزقيال

ولا نكر انهُ يعسر علينا تعيين الاماكن المذكورة بكل ضبط ودقة نظراً الى ما في اسماء البلاد من التباين والى الانقلابات التي حدثت على مرور الايام. وليس من نيتنا البحث عن حدود ارض الميعاد فان العلماء ذهبوا فيها مذاهب شتى واطالوا البحث عنها. وغرضنا من الاشارة الى الشهادات التي وردت في الكتاب ان نبيّن كون تخوم ارض الميعاد الشمالية الموعود بها لاسباط اسرائيل كانت بجوار حمص وحماة وان البرية الواسعة حول هاتين المدينتين كانت معدة لتكون ميراثاً لهم كما ورد في سفر العدد ونبوءة حزقيال

وهذه الشهادات التي اقتصرنا على الاشارة اليها دون غيرها تدل جلياً على ان حدود ارض الميعاد تمتد من اطراف القريتين الى ربلة ثم تدور جنوباً الى شرقي جبل لبنان الشرقي وحرمون حتى بحيرة طبرية ولذلك تكون برية حمص مع سهل البقاع داخلة فيها الاَّ ان الاراضي التي حول دمشق مستثناة منها

(٣) في ذكر ملوك حمص ومعبود الحصيين ولمحة في الزمن السالف

اول ملك رُوي لنا اسمهُ هو: شميجرم ذكره استرابون الجغرافي في كتابهِ الرابع عشر

ثم ذكر الملوك الحصيون في خطب شيشرون وفي تواريخ يوسيفوس اليهودي المدونة في كتابهِ المشهور باخبار اليهود

وجاءت بعد ذلك الاكتشافات الاثرية الحديثة فايَّدت ما سطرهُ العلماء الذين ذكرناهم. واليك سلسلة الملوك بقدر ما امكننا الاستطلاع عليهِ من التفاصيل التي وصلت الينا:

١ً شميجرم الاول — ملك في اوائل القرن الاول قبل المسيح وذكر المؤرخون اسمهُ في سنتي ٥٩ و ٤٣ ق . م . ولا يُعرف عنهُ شيء سوى انهُ كان رئيساً لاحبار هيكل الشمس الذي في حمص فكان يدير شؤونهُ الدينية والمدنية . وقد عُرف هذا الملك من الآثار المكتشفة بحمص وشهرهُ العلامة ادنكتون في كتابهِ المعروف بآثار سوريا الشمالية

وجاء اسم شميجرم في جغرافية سترابون حين ذكرهِ حصار القائد الروماني سيسيليوس باسّرس لمدينة اذنية . فانهُ اضطر الى طلب المدد من الملوك المجاورة لاذنية منهم ليزياس ومنهم شميجرم وابنهُ يمليكوس اللذان كانا مخيّمين في اريشوذه وهي الرستن . وكان في الرستن حصن منيع يتولى عليهِ شميجرم ملك حمص او اميرها

وهذا الاسم بالسريانية مشتق من كلمتين « شمس » ومعناها الشمس وجرّم ومعناها العظم . وعند الاشوريين اسماء مماثلها مثل شميهدد وشميومكين وشميبي وغيرها وكلها مأخوذة من لفظة الشمس التي كانت معبودة عند الاقدمين ويتبعها لفظة اخرى

٢ً يملك (او) يمليكوس الاول بن شميجرم — هذا كان معاصراً ليشيرون الخطيب الروماني فذكرهُ في احدى رسائلهِ وقد لقب هذا الخطيب يمبيوس القائد الروماني باسم شميجرم ملك حمص على سبيل المزاح في رسالة اخرى

ولما نشبت الحرب بين اكتافيوس ومركوس انطونيوس كان يملك منحازاً الى الثاني الاّ ان هذا خشي خيانتهُ فامر بقتلهِ . وكان ذلك في سنة ٣١ ق . م . وتولى مكانهُ اخوه الكسندر

٣ً الكسندر بن شميجرم الاول واخو يملك — اسرهُ اكتافيوس حين انتصاره على ماركوس انطونيوس واستصحبهُ الى رومه ليكون فخراً لهُ وزينةً بين اسراهُ . ثم اصدر الامر باعدامهِ

٤ً يملك الثاني بن يملك الاول — قام بالملك في السنة العشرين بعد المسيح وذلك بامر اغسطس قيصر الروم الذي اعاد مملكة حمص الى حالها القديم ولذا يبين انهُ كانت فترة في الملك بين الكسندر ويملك الثاني

٥ شميجرم الثاني — هذا ذكره المؤرخ يوسيفوس اليهودي في كتابه التاسع عشر في الفصل الثامن حيث قال :

« وبعد ان صنع اغريبا ذلك في مدينة بيروت قدم طبرية مدينة الجليل وقد وافاه ملوك آخرون منهم انطيوخوس ملك كوماجنه وشميجرم ملك الحصيين وكوتيس المالك في ارمينية الصغرى وبوليمون مكيلا البنطس . وقد احتفى بهم اغريبا احتفاء عظيماً مظهراً بذلك شهامة نفس وانهُ اهل لاستقبال ملوك كثيرين قدموا لمشاهدته »

٦ عزيز بن شميجرم الثاني — وهو الذي تزوج دروسيلاً بنت هيرودس اغريبا وسُطر يوسيفوس المؤرخ اسم هذا الملك في اخبار اليهود في كتابه الفصل ٥ من الباب ٢٠ عند ذكره مشاجرة اليهود والسمرة على عهد قلوديوس قيصر

ومات هذا الملك في حمص ودُفن فيها كما اشار الى ذلك صاحب كتاب سورية المقدسة المطبوع في رومة سنة ١٦٩٥ اذ قال : « ان ضريح هذا الملك على شكل هرم واقع خارج باب المدينة الشمالي »(١)

٧ يوليوس سوهام (او) صويم بن شميجرم الثاني — ملك حمص في ايام نيرون واسبسيانوس وعُرف اسمهُ من كتابة لاتينية محفورة في الحجر وجدت في حفريات بعلبك وهذه ترجمتها :

« الى الملك الكبير كايوس يوليوس صويم بن الملك الكبير شميجرم محب القيصر ومحب الروم تقدمة من وتيلوس وسوسياس في « عهد القناصل .... »

٨ دابل ملكا — هو آخر ملك معروف في كورة حمص قبل انضمامها الى دولة الروم . هذا ما ذهب اليهِ لزمان المؤرخ الفرنساوي في مقالة لهُ بكتابه المسمى : الالف باء الفينيقية . وذلك عند اكتشاف نقد نحاسي منقوش عليهِ بالاسترنجيلي كلمة « دابل ملكا »

معبود الحصيين ولغتهم في الزمن السالف

اشتهرت حمص منذ القديم بعبادة الشمس اسوة بجارتها بعلبك . ولا ريب في انهُ شيد فيها في زمن غير معروف هيكل عظيم للشمس . وكان لاحباره المقام الاول عند الحصيين حتى ان بعضهم ارتقى الى مقام القياصرة

(١) لم يفدنا احد عن هذا الاثر ولعله الصومعة القديمة التي خارج ابواب مدينة حمص

وقد وقف الموسيو رووسو في مكان على مسافة تسع ساعات غربي حمص على كتابة يونانية تدل على عبادة السوريين للاله اوزيريس وفيها مكتوب : « عبد اوزيريس الذي بركهُ بعل » فالظاهر ان السوريين اخذوا شيئاً كثيراً من عوائد اهل مصر وتدينوا بدين سكان وادي النيل وربما خلطوا بين اديان مصر والشام . ولكن بعد ما اختلط العنصر اليوناني بالعنصر الارامي في بلاد سورية على عهد اسكندر المكدوني وخلفائهِ الملوك السلوقيين لم يبدل اهل حمص معبوداتهم بمعبودات اليونان كما اثبت ذلك المؤرخ ممسن في تاريخهِ اذ قال :

« ان اهل سورية لم يختلطوا باليونان الاَّ اختلاطاً ضعيفاً » وبرهن على انهم مكثوا محافظين على اديانهم الخصوصية في حلب وافامية وحمص وتدمر

وكان اهل حمص يكرمون الحجر الاسود ويعبدونهُ فجعلوهُ في هيكلهم وهم معتقدون انهُ نزل من السماء . فاستصحبهُ القيصر كراكلاَّ الى رومة وبنى هياكل كثيرة اجلالاً لهُ . ونقش رسم هذا الحجر على اكثر المسكوكات التي ضربت في عهد كراكلاَّ وحول الحجر اكليلان من ورق الغار وكثيراً ما نقش النسر فوق الحجر .

اما لغة الحمصيين فكانت بلا شك السريانية واول دليل على ذلك اسمها الارامي كما قدمنا . وشهد ثوريكس المؤرخ اللاتيني ان لغة الحمصيين كانت السريانية على عهد الروم وقد اشرنا قبلاً الى الكتابة الاسترانجيلية المنقوشة على احدى مسكوكاتها . واليك برهاناً ساطعاً عن رسوخ اللسان الارامي في حمص . فان الملوك الذين عرفت اسماؤهم وتولوا شؤون حمص في القرن السابق لزمن المسيح وما بعدهُ قد اتخذ اكثرهم اسماء سريانية . ولنا برهان آخر وهو اسم ايليوكيل الذي لقب بهِ كراكلاَّ القيصر لانهُ كان حبراً لهيكل الشمس فهذا الاسم سرياني ومعناهُ « الاله صنع او صوَّر » ومعنى ايل الاصلي في اللغات السامية هو القوة والقدرة وهو يطلق في التوراة على اسم الجلالة وربما كان اسم الشمس في اليونانية « ايليوس » مأخوذاً منهُ

ولم يكن للسلوقيين نفوذ عظيم في سورية لاسيما في مدينة حمص من حيث اللغة لان الحمصيين حافظوا اشد المحافظة على اللسان الارامي . « لا بل اثبت العلماء ان انتشار لغة الاراميين بقي على عهد السلوقيين مبلغاً عظيماً فاضحت اللغة

السائدة في كل انحاء السامية اعني في سورية وما بين النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب . الا ان اللغة الرسمية بين عمال الدولة ولغة العلماء كانت اليونانية في كثير من تلك البلاد دون ان تشيع في عامتها » (١) ولما انتشر الدين المسيحي في حمص كان لكنيسة السريانية فيها مقام عظيم ومركز ذو اهمية كبيرة. وبقيت اللغة السريانية راسخة فيها الى ايام الفتح الاسلامي

ولا عجب اذا كنا نرى في حمص كتابات كثيرة منقوشة على الجدران في انحاء شتى من المدينة حتى الآن واكثرها باللغة اليونانية دون السريانية . لان السريان قلما كانوا يعتنون بالنقش على الحجر . ولم يتفرغ الاثريون للبحث عن الكتابات السريانية ونشرها الا ان ما عرف الى الآن يدل دلالة واضحة على ان اللغة السريانية كانت بلا شك لسان العامة لا بل لسان كثيرين من اهل الفضل والادب

يوسف اليان سركيس

غليوم

تغيرت الدنيا فهل هي زُورُ ... ام الفلكُ الدوّار ليس يدورُ
رماها نفاق السيف في شر غضبةٍ ... تلظّى بأحقاد الورى وتفورُ
تججُ شرارا يضرمُ الماء والثرى ... ويشوي طيورَ الجوّ وهي تطيرُ
شرارة نيران العقول وانما ... شرارة نيران العقول شرورُ

***

تجهّم يوماً وجه (غليوم) وانزوى ... فما في وجوه العالمين سرورُ
ولا ضحكٌ في الارض الا ابتسامة ... لها القاضباتُ اللامعاتُ تثورُ
وأبرأ داء الحب في كل منزع ... من البغض داء لا يُساغ مريرُ
فللشعب من شعب وللأخ من اخ ... وللبيت لا لاظبي الكناس تفورُ
وما انبتّ ما بين الورى من علائقٍ ... فبينهنّ لا في الغانيات فتورُ
اذا ان اظلمت في وجه (غليوم) عبةٌ ... تنشت بها الدنيا فليس تنيرُ
وعادت حداداً للثواكل داجياً ... ومنها على اقارهنّ ستورُ

---

(١) تشريع الابصار للاب لامنس الجزء ٢ ص ٦١ و ٦٥